Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلما ترجموا لكسري ، أنه ذكر أرقه من غير سقم ولا عشق، قال ما ترجمتُه : إذا كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص [١]!

فإلام صار الشعر المرتزق وأهله ؟

الواقع الذى يسجله تراثهم الأدبى ، أن الشاعر منهم إذا كان قد تخلص من تبعيته للقبيلة ، وتخلى عن مهمة التعبير عنها وشرف الكلام باسمها ، فإنه ارتبط بتبعية أخرى قاسية باهظة ، وانتقل إلى بيئة مغايرة لمجتمع القبيلة من حيث نظرتها إلى الشاعر وفهمها لوظيفة الشعر .

إنه فى هذه البيئة تابع للأمير وفرد فى حاشيته ، له وظيفته المحددة التى تفرض عليه تمجيد أفعال سيده والتغنى بسجاياه وتقديس كل تصرفاته ، والارتفاع به إلى سماء لا تطاولها سماء :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا ارتفعت لم يبد منهن كوكب

* * *

وأنت ربيع ينعش الناسَ سيبُه وسيفٌ أُعيرتْه المنيــةُ قاطع

وقلما يصدر الشاعر فى مدحه عن إيمان خالص بالممدوح ، وإعجاب صادق به . أو ، إن كان ، فهو إعجابٌ بما يناله من بر الأمير وعطائه ، فبقدر ما يسخو فى العطاء ، يسخو الشاعر فى المدح متأثراً بهذه المنحة الفردية ، لا بمكرمة عامة كتلك التى تهز شاعر القبيلة وتستثير أريحيته الفنية .

و « النابغة الذبيانى » يمثل لنا هذا الصنف من الشعراء أصدق تمثيل، وشعره فى « النعمان بن المنذر» جدير بأن يفصل فى قضية « ذاتية الفن » التى زعم زاعمون أنها أُهدِرت فى القبيلة ، وجدير كذلك بأن يجلو لنا الفرق البعيد بين وظيفة الشعر فى المجتمع العربى الأصيل : قيادةً وسيادة ؛ ووظيفته حرفةً وارتزاقًا ودعاية ، فى بيئة الأمراء من الغساسنة والمناذرة المتأثرة سياسيًّا واجتماعيًّا بتيارات أجنبية وافدة من بلاد الروم والفرس .

ومدائح النابغة فى النعمان صريحة الدلالة على انفعاله به بقدر ماسخا فى عطائه [٢] :

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ / ٢٥٨ ط المعارف .

(٢) انظر القصائد فى ديوان النابغة ، وأكثرها فى المختار من شعره فى كتب الأدب .